Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويحورُ الخريفُ وهو ربيعٌ وتَسورُ المياهُ فى العيدانِ(٦٩)

ووصفه للحركة البطيئة فى سير السحائب :

سَحَائبُ قيسَتْ بالبلادِ فألْقِيَتْ غطاءً على أغْوَارِهَا ونُجُودِهَا
حَدَتْها النُّعامَى مُثْقَلاتٍ ، فأقْبَلَتْ تَهادَى ، رُوَيْداً ، سَيْرُهَا كركُودِهَا(٧٠)

فإننا نقرأ هذه الأبيات وأمثالها مما سبق ، فيروعنا منها ــ أول ما يروع ــ صدق تمثيلها للحركة فى الجملة والتفصيل ؛ فليس أصدق من وصف ذوائب الكتان بالغدير وهى تتلاحق مع الريح ، ثم يتمم تصوير الحركة هنا تصوير اللون الأخضر والملمس الناعم والغيم الذى يسرى على جلس الكتان مع الليل فى وقت الوسن ويسف بحواشيه المطيرة إلى الأرض البليل ، فالصورة كاملة لا تنقص منها سمة من سمات المكان والزمان والحركة ولاحظ من لحوظ العين واللمس والخيال . ومثلها صورة الرقاق وهى تكبر فى لمح البصر كما تنداح الدوائر فى صفحة الماء . ومثلها صورة الليلة القمراء وهى كاملة متحركة من بداية الأسفار إلى السريان إلى الصفحة الريا التى تطالعنا بالامتلاء والنداوة إلى الصفاء المحيط بكل هذا فاللألاء المشرق على ذلك الصفاء ، ليس فى البيت كلمة واحدة إلا لها مكانها من الصورة ونصيبها من التلوين والتمثيل والتبيين . ومثل ذلك المياه التى تسور فى العيدان كأن لها وجيباً أو دبيباً يتتبعه الناظر بعينه ويصغى إليه بأذنه . والسحائب التى لا تفرق بين حركتها وركودها ، لأنها أطبقت على أغوار البلاد ونجودها . وهات ماشئت من صور له فى وصف الإنسان والحيوان والنبات والجماد فإننا نجد فيها كلها مثل هذا الصدق ومثل هذه الحركة ومثل هذه الحياة .

ولم تقف مزية ابن الرومى عند وصف المحسوسات ، واستكشاف كنه الطبيعة والأشياء ، ولكنها امتدت إلى وصف الخلجات النفسية الدقيقة ، والمشاعر الإنسانية المحتجبة ، وأبياته التالية تكشف عن ذلك بوضوح ، يقول فى الأسفار :

---

(٦٩) المصدر نفسه ٦ : ٢٤٩٣ .
(٧٠) المصدر نفسه : ٢ : ٦٠٤ .